**المحاضرة الرابعة**

**شبهات احول الوحي القرآني عند أشهر المستشرقين**

**الوحي القرآني في دراسة المستشرقين:** Révélation

لم ينطلق المستشرقون من فراغ عند دراستهم لظاهرة الوحي القرآني ، بل كانت لهم معارف سابقة لهذه الظاهرة سواء في الدّيانة اليهودية أو الدّيانة المسيحية ، لذلك لم تكن دراستهم مجردة من دوافع دينية تمنعهم من الاعتراف بالوحي القرآني ، ثم يختلقون كل الشبهات تحت غطاء البحث العلمي الذي يثبت في زعمهم الحقائق لا الـزيوف .

فهؤلاء المستشرقون لا يصدّقون أنَّ وحيًا أنزل على رجل من العرب ، ولا يمكن أن يكون مثله نبيًّا أن يوحى إليه كتاب بعد نزول التوراة على موسى و الإنجيل على عيسى .

ومن أعظم افتراءات المستشرقين أنّهم نسبوا القرآن إلى صنيع محمد و اختلاقه و دراستهم لا تعدو الموضوعات الثلاثة الذي حاولوا من خلالها - عبثًا – اللعب بحقائق الأشياء :

* الموضوع الأول : الظروف الذي تلقى فيها محمد أول بلاغٍ إلهي .
* الموضوع الثاني : فتور الوحي
* الموضوع الثالث : العوارض التي تعتري النبي " صلى الله عليه و سلم " عند نزول الوحي
* تعريف الوحي : Révilation
* " فعل من الله لاطلاع الناس على الحقائق لا تستطيع عقولهم أن تكشفها " Petit Larousse
* " إظهار الحقيقة الذي ظلّت إلى ذلك الحين محجوبة و غامضة و مجهولة "
* [ قد يكون هذا التعريف إلى الإلهام أقرب منه إلى الوحي ] و الفرق بين الوحي و الإلهام :
* الأول خاص و الثاني عام .
* الأول بواسطة الملك و الثاني بغير واسطة
* الأول يكون بشهود الملك أو سماع الكلام ، والإلهام كشف معنوي .
* الوحي للتبليغ و الإلهام ليس كذلك .
* الوحي أنواع ، منها ماله معنى لغوي ، ومنه ما يراد به المعنى الشرعي و هو المراد عند الكلام عن الأنبياء وما أنزل إليهم من الكلام الإلهي .
* **ويمكن تعريفه :**

"بأنّه إعلام خفي سريع خاص بمن يوحى إليهم بحيث يخفى عن غيره ، كما كان يوحى إلى النبي – صلى الله عليه و سلم – في فراش عائشة –رضي الله عنها – فيعلم ما هو المراد و هي لا ترى ، وكذلك يوحى إليه بمحضر من أصحابه – رضي الله عنهم جميعا – فيعي ما يتلقاه وهم لا يعلمون شيئاً منه إلاّ تغير حال الرسول - صلى الله عليه وسلم – عمّا كان عليه من قبل الوحي " . [ صحاح الجوهري ]

و الآيات التي نزلت بمعنى الوحي الخفي على الأنبياء تكررت في القرآن منها :

﴿ وما كان لبشر أن يكلّمه الله إلا وحيًا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء إنه عليّ حكيم ﴾ **[الشورى/51]**

* **الموضوع الأول : الظروف التي تلقى فيها النبي أول بلاغ إلهي**

و قد خاض في هذا المستشرقون ، وأثاروا حولها إشكالات منهم " **كازيمر سكي** " الذي تساءل عن الدوافع التي دفعت محمّدا إلى إدعاء الوحي ، يقول :

" لنكن حذرين ، فعند كثير من المُوحى إليهم ، وكذلك عند كثير من الناس لا توجد فكرة واضحة للاختلاف الموجود بين الموضوعية الصحيحة و الذاتية الضرورية ، إنه من العسير أن نستعمل دائمًا في ظل هذا الغموض اسم مكر أو خبث ولن يفيد أيضًا أن نزعم أنّه كان مصابًا بالصَّرَعْ أو فريسة لحالة جنون ديني ، إنّ الحالة النفسية الغير طبيعية لم تكن لتناقَش ، إنّ ما يهم ليس أن يشبه ا لمصروع أو المجنون و لكن بالتحديد ما هو وجه الاختلاف بينه و بين هؤلاء المجانين و المصروعين ، فهناك مجانين كثر و كثر لكن لم يكن أحد منهم مؤسّسًا لديانة الإسلام "

[13 – 12p [Qoran, tome I

وكذلك قال "مونتيه " :

" لم يتلق محمد الوحي عندما بلغ سن الأربعين لكن تأمُلُه المعزول أصَّله منذ سن بعيد لاستقبال الوحي و الذي هيَّأه لذلك الأزمات العصبية التي مُنِيَ بها منذ صغره ، وعلى أثرها أصيب بالهذيان وأخذت تتجلى له الملائكة في خلوته التي اعتادها في الصحراء ، هذه الظواهر بدأت عنده نتيجة للضغط و الثورة التي أحدثتها [ 12 L’islam p]

* يقول المستشرق" موريس جودفري ديمومبين " :
* " إن النبي كان تائهًا عبر الجبل، مثل أي شاعر ، باحثًاً عن الإلهام و اعتكف في غار حراء إلى أن أصابه فوحان إلهي " .
* كأنّ في كلام هؤلاء المستشرقين ما يوحي إلى أنّ النبي كان يفكر في الوحي، و النبوة ، ولو كان ذلك كذلك لما اعتراه من الخوف و الرعب و الرّجفان ، وطلب التدثر والتزمل ، والاستنجاد بخديجة زوجته التي أُلهمت عند تصبيره أن تقول له ما يخفف عنه ويروِّح ، ويُذهب ما به من الاضطراب فتقول له : " كلّا و الله لا يُخزيك الله أبدا ، إنّك لتصل الرّحم ، و تحمل الكلَّ وتُكسِبُ المعدوم و تَقْرِي الضيف وتعين على نوائب الحقّ "
* و السُّهَيْلِي ينكر على كل من يدّعي أن محمدا كان ينتظر وصْيًا أو يسعى إليه : "كل حديث يُزْعَمُ فيه أنّ الرسول - صلى الله عليه وسلم - كان يعرف أنّه نبي ، هو حديث كذب لا يُعتدُّ به لأنه – صلى الله عليه وسلم – لم يكن يعرف حتى ليلة الوحي أنّه نبي " [ الروض الأنف ج 2 ص 170 ]
* الوحي حقيقة مستقلة عن ذاتية محمد - صلى الله عليه وسلم – بعيدة عن شعوره وخياله كما تصور" ما كسيم رودنسون " ولم يكن له يد في الوحي وإنزاله ...
* **الموضوع الثاني : فتور الوحي**

يقول إدوارد مونتيه E.Montet

" بما أنه لم يتلق الوحي في الحقبة الموالية لهذه الليلة الخالدة تساءل محمّد هل كان لعبة في يد الشيطان ؟ إن الإيمان بِ " الملك" و قدرة الجنَّ كانت منتشرة في هذا الوقت في الجزيرة ، و في أوقات أخرى كان له إحساس بأنّه موضوع عناية إلهية خاصة ، لأنّه كان يصدق الرؤيا التي قد رآها لكن الشكوك ظهرت من جديد في دهنه هل هو موضوع مهمة إلهية أم أنّه أصيب بالجنون إنه ذهب إلى حدّ التفكير في الانتحار " [ l’islam p 13 ]

يقول " بلاشير" أيضًا :

"عرف محمد فترة كربٍ شنيع ، و شعر أنه وقع ضحية شكوكه ، وشك في بعثته ، وكان يظن أن ربه تخلّى عنه للأبد ، إلا أن الملك حامل رسالة الله لم يتأخر عن الإسراع إلى زيارته و منحه الثقة " [le problème de Mohamed p 41]

ما قاله كلا المستشرقين يختلف مع ما تبث في الأحاديث الصحيحة التي روت تلك الحالة التي كان عليها محمد حين نزول الوحي عليه أول مرة و بعد أن فتر عنه في تلك السنين ، وكان ذلك صعبًا عليه ، لكن لم يكن بالشكل الذي صوره المستشرقون بتصوراتهم التي ترفع عن الوحي و النبوة ما يليق بـهما من القداسة و الإجلال و العصمة ولا شك أن للبشرية من الضعف و التردد و الحزن و التأثر ما لا ينكر ، ولكن مصداقية النبي قد ثبتت بأدلة لا يمكن للعقل إنكارها ، ولذلك فحينما نتكلم عنه لابدّ أن نستحضر دواعي الإيمان في تصديق الروايات الصحيحة التي تحكي لنا قصة الوحي وتلقي الوحي في بدايته و في فتوره و تتابعه و في ختامه و نهايته ، عن ابن شهاب قال :

أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمان أنّ جابر بن عبد الله الأنصاري وكان من أصحاب رسول الله وهو يحدثهم عن فترة الوحي قال في حديثه : فبينما أنا أمشي سمعت صوتًا من السماء فرفعت رأسي فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالسًا على كرسي بين السماء والأرض قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم – فجُئثت٭ منه فَرَقًا ، فرجعت فقلت زمِّلوني زمِّلوني ، فدثَّروني ، فأنزل الله تبارك و تعالى **﴿ يا أيها المدثر ، قم فأنذر .... ﴾ ،** وهي الأوثانقال ثم تتابع الوحي" ] صحيح مسلم]

وقد يتساءل الناس عن حكمة فترة الوحي ، و الإجابة قد تختصر في الآتي :

1. أن يذهب الخوف الشديد الذي اعتراه - صلى الله عليه و سلم -
2. أن يحصل عنده الشوق إلى الوحي و لقاء الملَك
3. أن يظهر المولى - عز و جل – الأفعال بين النبي و بين الوحي الذي أنزله عليه
4. الوحي لا ينزل إلا بأمر الله و مشيئته ، ولا دخل لأحد في نزوله ....

* **الموضوع الثالث : العوارض التي كانت تعتري النبي - صلى الله عليه و سلم – عند نزول الوحي :**

يقول " ماكسيم رودنسون " :

" إن نزول الوحي على النبي كان يمثل دائمًا تجربة مؤلمة شاقة ، بحيث يمتلئ وجه النبي عرقًا ، والارتعاشات تهزه ، ويبقى ساعة من غير وعي ، كأنه في حالة سكر لا يسمع ما يقال ، ويعرق بغزارة ، حتى في الأوقات الباردة ، و يسمع أصوات غريبة لسلاسل أو أجراسp 100]  Mohamed ]

ويقول " موريس جدفروي –ديمومبين " : Maurice Gaudefry – Demanbyne

" أنّ محمدا لم يستسلم بسهولة لضغط الملَك ، يناقش و يدمدم كالجمل ، كما قالت الرواية ، الزبد يخرج من فمه و كذا العرق من جسمه ، حينما يأتيه الوحي وهو على ناقته ، هذه الأخيرة تخور قواها من شدة الثقل فتبرك ، ويسمع أصوات السلاسل ، ورواية تقول رنين الأجراس ، كان شاقًا جدًا ، لكن الأجراس لم تكن معروفة في مكة "

* وهاهو "غوستا ن لوبون " يذهب بعيدًا و يصرح بأكثر مما قاله السابقان :

" يجب عدُّ محمّد من فصيلة المتهوسين كما هو واضح وذلك كأكثر مؤسّسي الديانات ، ولا أهمية لذلك ، فأولو الهوس وحدهم لا ذوو المزاج البارد من المفكرين ، هم الذين ينشؤون الديانات و يقودون الناس " حضارة العرب ص 144

* وعند الرجوع إلى كتب السير و الروايات الصحيحة نجد الوصفة الصحيح لعملية الوحي ، والحالة التي يكون عليها الموحى إليه ولا يعتريها الهوس أو الجنون ما يصفه هؤلاء المستشرقون ، الوحي ليس أمرًا سهلاً ، ولا ريب أنه فوق طاقة البشر ، و لكن الله قد أعطى نبيه من الطاقة ما يتحمل به ذلك الثقل ، و لكن مع ما يعتريه - صلى الله عليه وسلم – من التغيرات من تصبب العرق و التعب الشديد إلا أنّ قواه العقلية لا تتغير ولا تتهاوى ، بل نحافظ على توازنها الذي يمكنا من وعي كل ما يوحى إليه ، لا كما يدعي هؤلاء المستشرقون من ذهاب العقل و فتوره .
* قالت عائشة -رضي الله عنها-: " إنّ الحارث بن هشام سأل رسول الله - صلى الله عليه و سلم – فقال : يا رسول الله كيف يأتيك الوحي فقال رسول الله أحيانًا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشدّه عليَّ فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال ، وأحيانًا يتمثل لي الملك رجلًا فيكلِّمني فأعي ما يقول قالت عائشة و لقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإنَّ جبينه ليتفصَّدُ عرقًا " [صحيح البخاري]
* يردُّ عبد الله دراز على تهويسات المستشرقين يقول : " نرى المباينة و المناقضة بين الوحي و بين تلك الأعراض المرضية و النوبات العصبية التي تصفرُّ فيها الوجوه ، وتبرد الأطراف وتصطك الأسنان ، وتتكشف العورات ، ويحتجب نور العقل ، و يُخيّم ظلام الجهل ، لأنّها كانت كما علمت مبعث نمو في قوة البدن ، و إشراق في الكون ، و إرتفاع في درجة الحرارة ، وكانت إلى جانب ذلك مبعث نور لا ظلمة ، و مصدر علم لا جهالة ، بل كان يجيء معها العلم و النور ما تخضع العقول لحكمته و تتضاءل الأنوار عند طلعته " [ النبأ العظيم ص 72]
* ويقول مالك بن نبي أيضًا عن ظاهرة الوحي : " إذا نظرنا إلى حالة النبي وجدنا أنّ الوجه وحده هو الذي يتحقّن بينما يتمتع الرجل بحالة عادية ، وبحرية عقلية ملحوظة من الوجه النفسية ، بحيث يستخدم ذاكرته استخداماً كاملاً خلال الأزمة نفسها على حين وعي المتشنّج و ذاكرته خلال أزمة ، فالحالة بناء على هذه الملاحظة أي حالة مرض كالتشنّج .

و نضيف أيضًا أنّ الأعراض الجسمية التي رويت عن النبي لا تظهر إلا في اللحظة التي تعتريه فيها الظاهرة القرآنية ، و فيها وحدها ، أي في اللحظة الخاطفة للوحي .

وهذا التلازم الملحوظ بين ظاهرة نفسية أساسًا و حالة عضوية معيّنة هو الطابع الخارجي المميز للوحي ."[ الظاهرة القرآنية ص 130 – 131 ]

وأخيرا يمكن القول : إن شبهات هؤلاء المستشرقين وغيرهم أوهى من بيت العنكبوت ،هم أنفسهم يعرفون زيفها ،ولكن أعماهم التعصب لأفكارهم الواهية وديانتهم المنحرفة ،التي كان تأخذ بأيديهم إلى نشر مثل تلم الأكاذيب لصد الناس عن معرفة حقائق القرآن ،في شتى مرتكزاته من طرق وحيه ولغته وقراءاته ،مما حاولنا إيجازه لك في مثل هذه المحاضرة ،وقد تدفعك إلى البحث أكثر .